النقد

حول الينبوع أيضا

الى الدكتور احمد زكى ابى شادى

أما أنا ، فانى أرى اللجاجة ليست تفيد ، وما كان مثلى يبغى الغرض ، وما كان مثلى يهوى التسرع ، وانما صح ما توقعت ووقعت الواقعة ، واذا أنا أعود فأردد مرة أخرى ، ما عرفت الدكتور واضرابه من إخواننا المصريين ، الا أباة على النقد ، يثيرون من أجله المعارك ، ويتسارعون بسببه الى الخصام والنزاع ،

فأنا أعتذر للشاعر حدته فى الرد ، لان الشاعر أتانى بطبعه يأبى أن يستخف له الناس أثره ، ويكره من يبخس شيئا من قدره ، وأشكر له حسن ظنه بى ، ولا أبغى تسجيل هذه الكلمة عليه ، ثم أضرب صفحا عن الماضى بأجمعه ، وأعيد النظر فى ينبوعه من جديد ، وأؤكد له أنى قرأته مرة ثانية ، وأؤكد له انى حاولت أن أفهم ، وأعوذ بالله أن أزعم ان نفسه قد حلت فى جسمى ، فلست أعتقد بالحلول . ولا أزعم أن عواطفى قد اصطبغت بلون عواطفه فهذا أمر يسرف استحالته من الوجهة « البسيكولوجية » ، وأسأله العفو والمغفرة ان كفرت بقوله

كن انت نفسى واقترن بعواطفى تجد المعيب لدى غير معيب

ا افراط فى أنانية الشاعر ، إذ كيف يعقل أن يتشابه الناس تماما فى المادة وفى الروح . وما تشابهوا ، لكن الشىء الممكن الذى أستطيع القيام به ، هو أنى حاولت أن أوجد التجاوب الروحى بين نفسه وبين نفسى ، مع أنى لم أحاول أن أخلق مثل هذا التجاوب من قبل ، فابن الرومى مثلا ، لا يوجد أقل تجاوب روحى بين نفسه وبين نفسى ، ولكنى معجب به لا لأنه يضرب على الوتر الحساس من قلبى ، ولا لأنه يهيج دفين آلامى وأشجانى ، بل لانى أجد فى شعره فنا رائعا لا أستطيع انكاره وبخسه . ولأضرب الدكتور مثلا آخر هوفيكتور هوجو Hugo فانا أرى فى شعره رأيا يخالف رأيى فى ابن الرومى وربما كانت نفسه أقرب الى نفسى من نفس بودلير CR Baudelaire ، الذى أعجب به اعجابا شديدا .

فليس من الحتم على قارىء الشعر ألا يستسيغ الا الشعر الذى تشابهت فيه نفسه مع نفس الشاعر ، فقد يحب وقد يكره ، ولكن هناك الفن الشعرى ، وهو الجامعة التى تؤلف بين القلوب ، وتوحد بين الامزجة ، وما أظن فى الناس الا الحمقى يعزون أكنافهم اذا قرىء لهم شىء من الشعر الخالد الذى يتسم بصفات الفن الرائع ، ولو كان يخالف نظرتهم وفطرتهم :

إن من عادتى ياسيدى الدكتور أن أعمد الى الافكار التى تكون طراز تفكيرى ، والمبادىء التى أستند اليها فى تقديرى ، فاتناولها بين آونة وأخرى بالبحث والمراقبة والتشريح أبتر ضعيفها ، وأنعش هزيلها . وأنشط قويها . قلت . . . ربما كان رأيى فى شعر أبى شادى من القبيل الضعيف . فلأعد النظر وأؤكد للدكتور انى كنت قاسيا على نفسى حتى يرضى .

فاللهم جنبنى الشبهات ، وسدد سبيلى ، وحبب الى الحق لأتبعه ، ووجه روحى الى النور لأدرك كنه صفحات الحياة التى تلوح لعينى كروح فى ثوب صفيق من المادة . فاذا ابصرت بها واستهوتنى اندفعت بكل مافى نفسى من جموح ، لادرك سر تلك الروح .

الشعر مادة وروح ، وشعر أبى شادى كذلك . فما هى المادة التى تتمثل فى شعره ؟ لاشك أنها اللغة ، واللغة كما أعلم وتعلم هى الأداة المادية التى تشرح دخيلة الروح . ومع أن الدكتور قد جزم بأنى لست ممن يصلحون لنقد لغة شعره وقد استحسنها من قبل أساطين كمصطفى جواد وغيره . !! فأنا اسير من حيث بدأت ، فليست القضية قضية نحو وصرف وبيان وبديع ، بل قضية ذوق شعرى ولغة شعرية . واذا شئت فقل قضية فنية بحتة ، ويحسن بأولئك المدرسيين Classiqwe أن يتركوا الساحة قليلا ، ويريحوا الناس من الاعراب والبناء التقدير ، فهذا أمر تافه يدركه صبية المدارس ، وقد أفنى الاقدمون فيه كثيرا من الوقت والجهد ، وقد جاء هؤلاء فى آخر القافلة

أقع بنظرى على قصيدته التى أراد أن يفحمنى بها ، والتى أراد أن يبهر بها الناس فاقرأ :

ترى فى البر الوان التناجى وفى البحر المشارف والعميق

أو قوله :

كأن الحسن ذاب بكل لون تراه وفى المياه وفى الطريق

اللهم انى كافر بالشعر ان كان هذا من الشعر ، وكافر بأقوال مطران ان كان قد استحسن هذا القول مطران ، وكافر بالأدب ان كان فى رجال الأدب من يستسيغ هذا ويعجب به

أو كد للدكتور أنى غير موفق فى انتقاء ما ينتقد . لكننى استعرض هذا وأمثاله . وقد يرى فيه مصطفى جواد أو غير مصطفى جواد منتهى الاجادة والبلاغة : أما أنا ، أنا الشاك الذى لم يتكامل التجاوب الروحى بين نفسه وبين نفس أبى شادى ، انا الذى اسجل خطرات تتعثر منها نفس أبى شادى ، ما أزال أرى باللأسف فى هذا الشعر وأضرابه ضعفا شديداً . أرى فيه لغة صحفية ليست لغة فن ولا شعر ، أرى الاعياء الذى ما بعده اعياء فى التصوير والتعبير ! وتبدو لعينى فكرتى التى يسطتها عن لغة الشعر التى اقول فيها . انا افهم ان الشعر هو التعبير الراقى عن احساسات النفس ، (وما كل احساس يصلح ان يكون شعراً بل الاحساس العلوى أقصد) .

وعلى هذا الشكل فهم العرب الشعر . فقالوا عن القرآن اذ سمعوه انه شعر .

ان فى اللغة الشعرية سحراً وروعة وفنوناً وموسيقى ونغمات صوتية Consonance تراها فى شعر امرىء القيس كقوله :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وتراها فى شعر عنترة ، او عمرو بن كلثوم ، وفى الشعر الغربى ما اكثرها فى شعر (ادكار بو Edgar Poe) او فى شعر (بودلير (Ch. Baudelaire) او فى شعر (فاليرى Valery) . وما كل كلام مفهوم بشعر ، ولا يكفى الشاعر ان يميز بين المنصوب والمرفوع ، وليس يكفى ان يعرف الشاعر البحر البسيط او الطويل او الرجز ، كل هذه قشور لابد منها ولا اهمية كبرى لها لبساطتها ، انما بيت القصيد فى تلك الروعة وذلك السحر ، او فى توقيع الموسيقى ، وفى تلاؤم تلك النغمات الصوتية ، وما فى شعر ابى شادى شىء من هذا .

. . . لغة الجرائد يا دكتور تعبر عن كثير من الآراء الصائبة والاخيلة الرائعة ، ولكنها تفعل فعلها فى وقتها ثم تنطوى تحت ذيل الزمن وتموت ، وما كان للشعر ان يكون مثلها ، إنك لا تستطيع أن ترى فى لغة الصحف روعة وسحرا الا نادرا أو إنك لا تزعم أن فيها فنا أخاذا . أما شعرك يا دكتور فهو شعر عربى فى كلماته صحفى فى فنه وتعبيره ، كافى بك تذكر حكاية ذلك الاعرابى الذى دخل إحدى الحواضر فسمع أهلها يتكلمون فما فهم شيئا . انهم يقولون كلاما عربيا ما فى ذلك شك . لكن أسلوب التعبير غير عربى . وكلامك يا دكتور فى شعرك لا يصطدم مع الفاعل ونائبه والصفة والتشبيه الا نادراً ، وجل من لا يسهو ، عربى فى الفاظه مفهوم فى عسر أو فى يسر ، لكن أين الفن الراقى فى التعبير فى مثل قولك ؟

هذه الدنيا لاحلام الاديب هذه غايات آمال الأريب ؟

أظن أن صاحب الملل والنحل لو امتد به الأجل ما قال قولته المشهورة (هذا شىء لا يعجز عنه انسان) الا فى شعر يشابه شعرك . لاعجب ياصاحبى هذا شان البحر ، فالبحر لا يقذف بالدر دائما ، ولكنه يقذف بالزبد فى كل حركة ، والانتاج الفنى الذى هو التعبير الراقى عن احساسات النفس لا يأتى عفو الخاطر ، فاذا تحدثت الى سيدى الشاعر عن اللغة افلا يجدر بى أن أحدثه عن روح الشعر وعن المناسبة الشعرية . وعن الظروف التى تستدعى قرض الشعر .

لا أكتمك يا دكتور انى عن يلفون بنفسهم بينكم معشر الشعراء ، فى المتن أو فى الهامش ، لا أدرى ، لكننى من جماعتكم على كل حال شئتم أو أبيتم ، وما أكثر أمثالى بين الشعراء ، يكاد أحدهم يبعد عن محراق القلك الشعرى زهاء مائة كيلو متر ، ويزعم بعد ذلك أنه من كبار الشعراء . أعذرنى فانا أنانى مثلك ، وانا عند ما احدثك عن أنانيتى يجدر بى أن أشرح لك شيئا من ذات نفسى كشاعر لا كنا قد . . . الموضوعات التى تستدعينى الى النظم كثيرة يا دكتور ، ونفسى دائمة الاضطراب والجموح . دائمة الحركة والثورة ، هى متمردة متقلبة ، ترى فى كل ساعة موضوعا للكتابة ، لكننى أكبح جماحها . أحول هذا الشعور الحاد الى اللاشعور ليتم نضجه ، فاذا فرغت منه انصرفت الى غيره ، ففعلت به ما فعلت بالأول ، وانا بين هذا وذاك أمزج بين الشعور الهادىء المتزن وبين الشعور الحاد الجامح ثم اكتب . وبعد ان أنهى عملى ادفعه واهمله ، واشعر ان عبئا قد زيح عن كاهلى ، أقبره لأنه لم ينضج ،

تمر عليه ايام كثيرة أتناوله فيها بالتبديل والتغيير والمسخ ، اوبالتهذيب والترتيب والتنسيق ، ولعلى ما اتممت شيئا حتى الآن ، فارضى عنه نفسى ، وكيف أشرح نفسى للناس ، وهم اجهل من ان يفهموها على وجهها ، وكيف أبرز للناس وما انا ممن يستطيعون التعبير عن مصائبهم وآلامهم وثورتهم ، حسبى أنى لم أعرض شعورى فكيف اعبر عن مشاعر الناس ، انهم يطلبون رعداً وبرقا ، وهم على حق فيما يطلبون ، فهناك وطن يقتسم ، وهناك بلاد يحتلها العدو والغريب ، وهناك شرف صار الى الرغام ، وهناك مجد قد أفل ، وهناك مجد الأمس وبؤس اليوم ، وتاج الاجداد ، وقبر الاحفاد ، وحق للشاعر ان يرعد ويبرق ، وان يدفع الغمام الساجى المدلهم ليمطر ، أما أنا فانى سائر فى طريق ، وأرجو أن أصل الى ما اصبواليه ، سأرعد وسأبرق ، وسأنفخ فى الرمم وسأصيح بالموتى ولكن ... ليس الآن ، عندما تهدأ نفسى من جنون الشباب ، عند ما يأخذ قلبى فى النظر العام الشامل ، فى ذلك الوقت استطيع أن ارضى نفس وأرضى غيرى ، أما الآن فلا . وإن الجمهور ليطلب الى الشاعر بكاء ونواحا ، وبحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه ما أكثر شعراء البكاء فى بلادنا ، أما أنا فلم يبق فى عينى دمع انضح به شهوات الناس . انى غدوت كشبح متحرك يراه الناس فيحسبون فيه القوة والجبروت ، وأبصره أنا على وجه لا يرونه به . ماذا تبقى ياصاحبى ، انى أرى الناس ، بل كثرة الشعراء فى واد ، وانا فى واد ، إنهم يتكلمون عن السماء وانا اتكلم عن الارض ، انهم يتكلمون عن العالم باسره ، وانا لا اتكلم الا عن (حديقتى) . فاذا شعرت بهذا انصرفت الى ألغازى التى حيرتها ، وأوهامى التى نسجتها وصبغتها بألوان الجمال والقوة والحكمة ، فتعينى فى بلواى ، بل كيف اقذف بها الى الناس . وهيهات أن تلذ الناس ، ما انا بطامع فى رضاهم ، ولا انا خائف من شرهم ، خير لى أن أعيش فى حديقتى ، أبذر وأقبر وأنتج وأقتل ، حتى لا تستطيع اليد قتلا ، وحتى تضعف اليد عن حفر القبور .

أرأيت يادكتور كيف أبعد عن الغرض الذى اسعى اليه ، بل أرأيت كيف أسرف فى الشطط . فقد ارهقتك وأرهقت القراء بهذر من القول لا طائل تحته ، وانماهى اقوال تلوح لذهنى فاعلق بها على الرؤى التى تلوح لعينى ، ما كان اجدرنى يادكتور الا اكتب والا اثير حفيظتك والا اضطر نفسى الى الجواب ، ربما كنت بعيدا كل البعد عن مذهبى فى الشعر ، فأنت تنحو فى شعرك ناحية تسكبها انسانية عالمية ، وانا أرى أن الحياة قبل التفلسف ، وعلينا أن نعمل للسير قبل الكمال ، وأن نعمل للحياة قبل الجمال ، وان نعمل للحركة قبل الفن — ان صح أن هناك فنا — وأن على الشعراء واجبا نحو وطنهم وأمتهم ، بل إن عليهم واجباً نحو انفسهم ، ماذا تستطيع النفس المقيدة الملجمة أن تنتج ، ربما فهمت قولى يادكتور وأولته على أنى معك على مذهبك . كلا : فانا لا ارى الشعر كتاريخ لنفس الانسان : إنى ارى ان الشعر لا يرسم الا الخطوط الأساسية من نفس الانسانية جمعاء ، وبقية الفنون والعلوم تلبس هذه الخطوط أثوابا فضفاضة من المادة والروح .

إنى استغفر الله يادكتور ، فما أردت سوءاً ، وما كنت مفرضا ولا ناقا ، لكننى من خدام الحقيقة . اريد أن اقبس من نورها ولو نالنى من الناس ما اكره ، أنا لا أريد أن أبنى لنفسى ذكرا على أشلاء الناس ، ولكنى أبحث عن ضالتى المنشودة

على انى شاكر لك أن اتحت لى الانطلاق من جمودى ، ومن حيرة قاتلة كنت أعيش فى ظلامها .

انى اتسلى لا اكثر ولا اقل ، انى أثير الغبار وسترى ماينجلى تحت الغبار .

حلب « المرتيني »

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر القسم الاول من كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » لتقى الدين المقريزى . وقد قام على تصحيحه ووضع حواشيه الدكتور محمد مصطفى زياده المدرس بقسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية .

ويقع هذا القسم فى نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير . ولا حاجة للتعريف بأهمية هذا المؤلف الكبير فان المقريزى ضمنه معلومات وحقائق عن دولتى الأيوبيين والمماليك بمصر قل أن توجد فى غيره من الكتب المخطوطة والمطبوعة

وقد طبع أجود طبع فى مطبعة دار الكتب على أجود ورق وثمنه ١٥ قرشا عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكردابى رقم ٩ بجوار سراى شريف باشا ومن المكاتب الشهيرة